فصيره الله اذل الاذلين وجعله لعنه حادما لاهل الفسوق والفجور من ذريته فلم يرض
بالسجود له ورضي ان يخدم هو وبنوه فساق ذريته وكذلك عباد الاصنام انفوا ان
يتبعوا رسولا من البشر ويعبدوا الها واحدا ورضوا ان يعبدوا الهة من الاحجار
وكذلك كل من امتنع ان يذل لله او يبذل له ماله في مرضاته او يتعب نفسه وبدنه في طا
عته لابد ان يذل لمن لا يستحق ويبذل له ماله ويتعب نفسه وبدنه في طاعته عقوبة له كما
قال بعض السلف من امتنع ان يمشي مع اخيه خطوات في حاجته امشاه اكثر منها في غير
طاعته **فصل** في خاتمة الكلام على هذا الباب التي هي الغاية المطلوبة وجميع ما تقدم
كالوسيلة اليها وهي ان محبة الله تعالى والانس به والشوق الى لقائه والرضا به وعنه اصل
الدين واصل اعماله وارادته كما ان معرفته والعلم باسمائه وصفاته وافعاله اجل علوم
الدين كلها ومعرفته اجل المعارف وارادته وجهه اجل المقاصد وعبادته اشرف الاعمال
والثناء عليه باسمائه وصفاته ومدحه وتمجيده اشرف الاقوال وذلك اساس الحنيفية
ملة ابراهيم وقد قال تعالى لرسوله ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان
من المشركين فكان النبي صلى الله عليه وسلم يوصي اصحابه اذا اصبحوا ان يقولوا اصبحنا
على فطرة الاسلام وكلمة الاخلاص ودين نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وملة ابينا ابراهيم
حنيفا مسلما وما كان من المشركين وذلك هو حقيقة شهادة ان لا اله الا الله و
عليها قام دين الاسلام الذي هو دين جميع الانبياء والمرسلين وليس لله دين سواه ولا
يقبل من احد دينا غيره ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الاخرة من
الخاسرين فمحبة الله سبحانه بل كونه احب الى العبد من كل ما سواه على الاطلاق من
اعظم واجبات الدين واكبر اصوله واجل قواعده ومن احب معه مخلوقا مثل ما يحب
فهو من الشرك الذي لا يغفر لصاحبه ولا يقبل منه عمل قال تعالى ومن الناس من يتخذ
من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله والذين امنوا اشد حبا لله واذا كان العبد لا
يكون من اهل الايمان حتى يكون عبده ورسوله احب اليه من نفسه واهله وولده ووا
لده والناس اجمعين ومحبته تبع لمحبة الله فما الظن بمحبة سبحانه وهو سبحانه لم يخلق
الانس والجن الا لعبادته التي تتضمن كمال محبته وكمال تعظيمه والذل له ولاجل ذلك ارسل
رسله وانزل كتبه وشرع شرايعه وعلى ذلك وضع الثواب والعقاب واسست الجنة والنار

والقسم الناس

مطلب فصل ناقع جدا

وانقسم الناس الى شقي وسعيد وكما انه سبحانه ليس كمثل شيء فليس كمحبته واجلاله وخوفه
محبة واجلالا وخيفة فالمخلوق كلما خفته استوحشت منه وهربت منه والله سبحانه كلما
خفت منه انست به وفررت اليه والمخلوق يخاف ظلمه وعدوانه والرب سبحانه انما يخاف
عدله وقسطه وكذلك المحبة فان محبة المخلوق اذا لم يكن لله فهي عذاب للمحب ووبال
عليه وما يحصل له بها من التالم اعظم مما يحصل من اللذة وكلما كانت ابعد عن الله كان
الهها وعذابها هذا الى ما في محبته من الاعراض عنك والتعني عليك وعدم الوفاء لك لمزاحمة
غيرك من المحبة له واما المكاره عنه ومعاداته لك واما الاشتغال عنك بمصالحه وما هو
احب اليه منك واما الغير ذلك من الافات واما محبة الرب سبحانه فشانها غير هذا الشان
فانه لا شيء احب الى القلوب من خالقها وفاطرها فهو الهها ومعبودها ووليها ومولاها
ورجاؤها ومدبرها وازلتها ومحييها فمحبته نعيم النفوس وحياة الارواح وسرور
النفوس وقرة القلوب ونور العقول وقوة العيون وعمارة الباطن فليس عند القلوب
السليمة والارواح الطيبة والعقول الزاكية احلى ولا الذ ولا اطيب ولا اسر ولا انعم من محبته
والانس به والشوق الى لقائه والحلاوة التي يجدها المومن في قلبه بذلك فوق كل حلاوة
والنعيم الذي يحصل له بذلك انعم من كل نعيم واللذة التي نالته اعلى من كل لذة كما اخبر بعض
الواجدين عن حاله بقوله انه ليمر بالقلب اوقات اقول فيها ان كان اهل الجنة في مثل هذا
انهم لفي عيش طيب وقال اخر انه ليمر بالقلب اوقات يهتز فيها طربا بانسه بالله وحبه له
وقال اخر مساكين اهل الغفلة خرجوا من الدنيا وما ذاقوا اطيب ما فيها وقال الحضرلوعلم
الملوك وابناء الملوك ما نحن فيه لجالدونا عليه بالسيوف ووجدان هذه الامور وذوقها
هو بحسب قوة المحبة وضعفها وبحسب حال ادراك المحبوب والقرب منه وكلما كانت المحبة
اكمل واداراك المحبوب اتم والقرب منه اوفر كانت الحلاوة واللذة والسرور والنعيم اقوى
فمن كان بالله سبحانه واسمائه وصفاته اعرف وفيه ارغب ولرضاه احب واليه اقرب وجد في
هذه الحلاوة في قلبه ما لا يمكن التعبير عنه ولا يعرف الا بالذوق والوجد ومتى ذاق
القلب في ذلك لم يمكنه ان يقدم عليه حبا لغيره ولا انسا به وكلما ازداد له حبا ازداد له عبودية
وذلا وخضوعا وانكسارا وقالبه وحريته عن رق غيره فالقلب لا يفلح ولا يصلح ولا يتنعم ولا
يبتهج ولا يلتذ ولا يطمئن ولا يسكن الا بعبادة ربه وحبه والانابة اليه ولو حصل
له جميع ما يلتذ به من المخلوقات ثم يطمئن اليها ولم يسكن اليها بل لا تزيده الا اقامة وقلقا
حتى يظفر بما خلق له وهي لرضى كون الله وحده نهاية مراده وغاية مطالبه فان فيه
فقراد اتيا الى ربه والهه من حيث هو محبوبه ومعبوده والهه ومطلوبه كما ان فيه

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)